

اللّٰه في ذاتي .. وذاته في قلبي

---

بقلم: محمد مندور

رؤية الله ليست مادية.. فهو مَنْ هو.. ذات عليه؛ ترقى فوق كل ما يخطر ببالك، على الأرض أو في السماوات. ذات الله تتجلى في خلقه، ففيها تراه.. ترى صنعته، وإبداعه، وجماله... ذات الله في أنفسنا وخلقنا، وإذا قَدَّرَ لنا رؤيته أمكن لنا كل شيء ومكنا من كل شيء.

رؤية ذات الخالق لا يحدها كلام ولا مقال ولا كتاب، فالخالق في قلوب رعيته ملك على كرسي الروح؛ يحكم ويتحكم في تصرفات المخلوق، فأنت إذا جعلت الله في قلبك كان الله يَدَك التي تبطش بها، ولسانك الذي تتحدث به، ورجليك التي تمشي بهما...

الوصف أدنى من الواقع الذي تكون عليه إن رأيت الله، فالمسألة هنا خارج حدود المنطق والعقل، فقط أمور لا يحسها سوى القلب... لذا فالله وذاته وقدراته العلية لا يسعها سوى مكان واحد.. هو قلب مؤمن.

يرى المُكفِّرون أو الكافرون في كلامنا هذا خروجًا عن العقل أو الدين، لكن كلاهما ينطبق عليه القول: «من لم يذق لم يعرف».

ليس من ذاق كمن عرف.. هكذا أو من أن رؤية الله تكون في تجلياته على عباده، وإحساس المخلوق أن ربه بجواره؛ يشعر به، ويراه، فهو ليس كمثل شيء. ومن ثم فإن رؤية الله ليست بالطبع كرؤية المخلوقات. هو الله القريب من عباده، يعلم ما في سرهم.

فقد رأيت الله وذقت حلاوة لقائه، في صلاة تقربًا إليه، أو في توبة بعد معصية، رأيت دلالات قبولها وقربه إليّ.

نعم، رأيت الله عندما كدت أشعر أنني كفرت بنعمه علي، فبكت عيني من خشيته، وارتعش جسدي، وانهمرت الدموع، وقتها شعرت بقرب الله.. تُبَّتْ إليه وكأني أراه.

تكررت رؤيتي لله في كل مرة تنزل عليّ تجلياته، كلما حمدته على النعماء، أو استنجدت به في شدة.

رؤية الله هنا ليست كروية المخلوقات والأشياء والنبات والجماد، فالرؤية لمن يشاهد بالعين والبصر ليست كمن يشهد بالقلب والبصيرة، المسألة ليست حسية، ولكن إحساس وإيمان بأنك ترى الله بقلبك.. فهو القائل: «لم تسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

فمن كان الله في قلبه أيخاف أو يخشى أي شيء؟ إن كان حبيبك الخالق أحتاج إلى رعاية المخلوق؟ هو القادر على أعدائك والواقف بجوار أحبائك.

رؤية الله ثقةً فيه.. حبُّ له.. تَخَلُّقٌ بصفاته.. تقربٌ إليه بما يحب.. بمناجاته في كل وقت.. بحب من أحب.. ألا تخافه بقدر ما تعشق ذاته.. أن تكون له فيكون لك.. أن تصبح أنت هو.. أن تذهب إلى طاعته فرحًا وطوعًا وولعًا وشغفًا بلقائه... حب الله بداية الطريق لرؤيته، والسبيل لبلوغ المنى.

حب الله في معاملاتك مع خلقه في حبه لذاته.. طلبًا لرضاه وتقربًا إليه.. حب الله ليس فقط عبادته ولكن تنفيذ تكليفاته، أن تكون في عون خلقه كما هو في عون عباده.

اذهب واجلس مع نفسك.. استدع ذات وصفات الله في نفسك.. وانظر ماذا سيكون.. هنا سأسألك: هل رأيت الله؟